

مدينة الجزائر:
أوضاعها الجغرافية والعمرانية
(1930-1954م).

~~~~~ د. حكيم بن الشيخ \*

**مقدمة:** تشكل الدراسات الاجتماعية مكانا بارزا بين العلوم التي تشتد إليها حاجة الأمم، مع تزايد درجة وعيها وإظهار ما يعتريها من ظواهر نفسية وثقافية، من جهة أخرى لها أهميتها في تحليل الأحداث ذات الصلة بالتطور البشري في الماضي، ومحاولة الاستفادة من نتائجها على واقعنا وحاضرنا، مع وضع تصورات حولها سواء كانت سلبية أم إيجابية مع مراعاة ظروفها السياسية وتسلسلها الكرونولوجي، وكما في الدراسات السياسية والاقتصادية والإحصائية يوظف الباحث والمتحري قدراته السياسية والاقتصادية ليتسنى له الوصول إلى الحقائق التي جعلت من الحدث التاريخي ذي الطابع السياسي أمرا حاصلا ومن لغة الأرقام والصفقات جداولاً تصنف ثم تحلل، فكذا الواقعة الاجتماعية في معانيها البعيدة والقريبة أمر يحتم ليس فقط على دارس الاجتماع معرفة أسبابها، ولكن كذلك تحتم على المؤرخ الباحث أن يستجلي معانيها ويتقصى حقائقها، ومعرفة بعد العناية بمشاكل الفرد خلال فترة معينة من تاريخه ولما كانت الحادثة التاريخية في نسقها الاجتماعي أمرا غاية في الأهمية والدقة، علينا كباحثين توخي الحذر والعمل الجاد، خاصة إذا كان لها علاقة بثوابتنا وشخصيتنا، كما علينا كذلك التحلي بالموضوعية والتجرد من الذاتية التي لا تخدم الغرض الأكاديمي للأحداث في بعدها التاريخي والاجتماعي، كما يجب مراعاة تسلسلها الزمني حتى يفيد المعنى ولا يخرج عن الأطر العامة للموضوع.

وموضوع المجتمع في مدينة الجزائر واحد من موضوعات كثيرة لها صلة بأحوال المجتمع الجزائري برمته، والتخصص في هذا الموضوع هدفه الإحاطة بجوانب هذه المدينة الأساسية والعاصمة الرئيسية في عمالة الجزائر حتى نفهم الإطار والمفهوم والتنوع والمشاكل التي واجهت المجتمع الجزائري بكامله من خلال دراسة عينة منه، ولدراسة هذا الموضوع وجب استتطاق واعتماد وثائق ومؤلفات ومراسلات أرشيفية فرنسية بحتة، فلا غرابة إذن أن يعبر البحث المنجز في آخر المطاف عن وجهة نظر فرنسية،

\*أستاذ محاضر في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- جامعة الدكتور يحي فارس- المدينة.

وذلك لندرة المصادر والمراجع العربية التي تمثل حقيقة وجهة النظر الجزائرية.

يمكنني مع شيء من التجاوز أن أقول إنّ هذه الدراسة التي موضعها المجتمع في مدينة الجزائر إنما هي محاولة جادة لإثبات هوية هذه الأمة التي لها جذور في هذه الأرض، وأنّ الاستعمار لم يأت بالحضارة إلى هذه الديار بل دمر ما كان موجودا وهمّش ما كان شائعا والهدف كان إلى جانب السياسة والنفوذ اقتصاديا وتجاريا وتحرير الفرنسي من النكبات والأزمات.

تقع مدينة الجزائر ضمن التراث المتوسطي ذلك لأنها صمدت أمام رياح التغيير والاضطهاد ونجحت في آخر المطاف في مقاومة النزعة الاستعمارية التي جاءت لتمحي ما صنّعه أجيال كثيرة تعاقبت في بلورة الشخصية الوطنية، فلا حرج إذن أن تقوم الآلة الاستدمارية الفرنسية بالقضاء على النموذج المحلي بإنشاء بدائل غربية مسيحية مناقضة للثقافة الشرقية، تلك هي القواعد والمعايير التي تتحكم في طبيعة العلاقات بين الحضارتين أي فرض السيطرة والإلحاق والتبعية من قبل السيد الأوروبي على اختلاف ملله ونحله أي أن الغرب الاستعماري قد أوجد قيما لم تكن معهودة من قبل، وتعتبر دخيلة على المسلم الجزائري.

ولم يحدث في تاريخ إفريقيا كله أن طرأ على الجزائر وعاصمتها من تغيرات وبالسريعة التي تمت بها عملية الإلحاق والمسخ والتغيير في معالم المجتمع والثقافة والدين، بل أن أعرق هذه التغيرات غورا وأشدها بعث على الأسى قد وقعت ما بين 1930م إلى 1954م مرحلة أولى، ثم من 1954م إلى 1962م مرحلة ثانية، ذلك أنّ تلك المرحلتين من تاريخ الجزائر لم تكن في جوهرها إلا فترة توطيد لأركان الحكم واستغلال خيرات الأرض، حيث لم يتغير من واقع الجزائريين شيء فقد ظلت إجراءات الاضطهاد قائمة كما ظلّ الفقر والجهل والحرمان ضاربا حصاره، على أن الشيء الذي تغير وتطور هو نظرة الجزائري ووعيه وإدراكه لحجم هذا الاستعمار، حيث سعى بكل ما أوتي من جهد للتخلص من هذا الكيان الغريب، وحيث لم يكمن بمقدور أي شعب أن يتحمل أو يحتضن ثورة عظيمة ثورة 54 لو لم يكن قد تهيأ لها ببيكولوجيا وذهنيا، فكذاك فعل الجزائريون حينما هيأوا أنفسهم طيلة العشر سنوات قبيل الثورة في نضال مستمر حتى اكتملت لديهم الصورة وتبينت آليات المقاومة الحقيقية.

## مدينة الجزائر: (الإطار الجغرافي والجيولوجي).

1- **المجال الجغرافي لمدينة الجزائر:** إنه لدراسة مدينة من المدن لابد من التعرض لموقعها وموضعها وارتفاعها وتكوينها الجيولوجي، كما هو الشأن في دراسات كثيرة تم التعرض فيها إلى (الماء والهواء، والمكان)، ناهيك عن دراسة إطارها المناخي والبيئي حيث تؤثر العوامل المناخية البحرية على نظيرتها الداخلية .

تعدّ مدينة الجزائر من المناطق الهامة المطلة على البحر الأبيض المتوسط، بل وسيدة الحوض الغربي قديما وحديثا، وهي بذلك تقع في مرتبة متقدمة في شمال القارة الإفريقية مقابلة لأوروبا، وقد كان لهذا الموقع أثره الكبير في حياة السكان مما جعلهم على اتصال وثيق مع العديد من الحضارات القديمة.

2- **مجالها الجيولوجي:** يشكل سطح مدينة الجزائر مجالا جيولوجيا هاما حيث يعود تشكيله إلى الحركتين الإلتوائيين (الهرسنية والآلبية) من ناحية الشرق والغرب، و يشكل إلى جانب ذلك المجال الطبيعي لمختلف أقاليم سطح عمالة الجزائر، حيث نجد في الشمال تكوينات دور الكريتاسي بمظهر ما قبل الكمبري، إضافة إلى مظاهر الزمن الجيولوجي الرابع، أما في الجنوب فإننا نجد فقط مظاهر حقبة الكريتاسي<sup>(1)</sup>.

أ- **تحديد إقليم مدينة الجزائر:** تعدّ مدينة الجزائر أهم مدن الجزائر لاعتبارات كثيرة منها موقعها الإستراتيجي ووضعها الاجتماعي والثقافي إلى جانب دورها الاقتصادي المتميز<sup>(2)</sup>، هذا ويمتد إقليم مدينة الجزائر « من شاطئ البحر الأبيض المتوسط بجبل بوزريعة إلى جبال الأطلس البليدي ويحده شمالا البحر المتوسط ويحتضنه من الشرق واد الحراش ومن الغرب واد ماء مزفران، وبذلك يمتد الإقليم في شكل طولي من الشمال إلى الجنوب ليشمل مظهرين طبيعيين مختلفين تماما، أحدهما سهلي والآخر جبلي ومعنى ذلك أن الجبل يغذي السهل بالمياه والرواسب »<sup>(3)</sup>، ولم يكن يتربع إقليم المدينة قبل الوجود الفرنسي إلا على دائرة شعاعها 10 كلم وهي المسافة التي كان سكان المدينة يقطعونها للتزود بالمياه أيام الجفاف<sup>(4)</sup>.

ج- **موقع مدينة الجزائر:** تقع مدينة الجزائر على خط عرض 36.46° شمالا وخط طول 3.3° إلى الشرق وهي بذلك تقع في منطقة معتدلة لقربها من البحر، تأسست في العصور القديمة واتخذت عاصمة منذ القرن 16م أي في العهد التركي، وظلت على هذا الحال إلى أيام الاستعمار الفرنسي ثم إلى الاستقلال، ولعلّ توسطها للجزائر ونشاطها الاقتصادي والاجتماعي وحتى

السياسي جعلها تنبؤاً مكاناً مرموقاً بين المدن والحوضر المتوسطية الأخرى كالرباط وتونس<sup>(5)</sup>.

**د- وصف المدينة:** شيدت مدينة الجزائر فوق موقع فنيقي قديم سمي إكوزيوم<sup>(6)</sup> الذي تأسس في القرن 07 ق.م حينما سقطت قرطاجة سنة 146 ق.م من قبل الرومان في الحروب الشهيرة بالحروب البونيقية<sup>(7)</sup> لتصبح هذه المدينة في يد الرومان، وسميت أكوزيوم منذ القرن 04م.

أو عاصمة الملك يوبا، أما الإمبراطور أغسطس فقد سماها جوليا كوزارية (Julia Cocsaria)، ثم أصبحت تسمى بجزائر مزغنة نسبة للجزر التي كانت تقابل خليج المدينة.

وكذلك نسبة لقبيلة مزغنة التي كانت تسكن المنطقة، ثم تغير اسمها بعد ذلك ليصبح ألقير (Algerre) والإسبان سموها "أرخيل (Arjel)، أما الإنجليز والهولنديين يسمونها" ألجيرز (Algiers)<sup>(8)</sup>.

ولما جاء المورسكيون أطلقوا عليها إسم "ألجيزيس"، ثم إلى المقاتلة والمحروسة في العهد التركي<sup>(9)</sup>، وأخيراً مدينة الجزائر المحاربة (La Alger guerrière)<sup>(10)</sup>، فتحها العرب القادمون من الشرق في إطار الفتوحات الإسلامية ما بين القرن 06م إلى القرن 07م، ثم سكنها المسلمون واليهود القادمون من الأندلس بعد حملات الاسترداد (Reconquista) الإسباني وكان هدفهم حينها، الاحتفاء من الظلم وممارسة التجارة في حوض المتوسط.

قال البكري في كتاب المسالك والممالك واصفا مدينة الجزائر: «هي مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار الأولين تحتوي على عقود طويلة ومحكمة تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم، وحصن ودار وملعب فيها قد فرش بحجارة ملونة صغار مثل الفسيفساء فيها صور للحيوان بأحكام عمل وإبداع صناعة لم يغيرها تقادم الزمان وتعاقب القرون، وله أسواق ومجد جامع، وكانت بمدينة بني مزغنة كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدير من الشرق إلى الغرب وهو اليوم قبلة الشريعة للعبيدين مفصص كثير النقوش والصور ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليه أهل الفن من إفريقيا والأندلس وغيرهما».

وكتب في القرن السادس هجري الشريف الإدريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق عن مدينة الجزائر قائلاً: «...ومدينة الجزائر على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار وهي عامرة أهلة وتجارها مربحة وأسواقها قائمة وصناعاتها نافقة، ولها بادية كبيرة

وجبال فيها قبائل من البربر وزراعاتهم الحنطة والشعير وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم ويتخذون النحل كثيرا...».

أنشأت مدينة الجزائر فوق مكان غير متوازن على شكل مثلث قاعدته عند البحر ورأسه فوق الجبل، فأما القاعدة فهي تشكل مكانا متوازنا نوعا ما، فالطرق بها طويلة ومستقيمة تتألف في العموم من طريقين رئيسيين: الطريق البحري والطريق الرئيسي المؤدي إلى وسط المدينة، تبتدئ من الميناء بشكل مستقيم إلى منطقة باب الواد أي على طول قاعدة المثلث (باب الواد على اليمين وباب عزون على اليسار).

وأما الثاني فكان يمثل المكان المرتفع أو العلوي من المثلث فهو يتمثل في طريق القصبة وطريق باب الجديد ليتفرع بعد ذلك إلى طريقين، الأول المؤدي إلى باب الواد والثاني إلى باب عزون، والقصبة عندئذ تمثل قمة هذا المثلث، ويجد المرء حين يكون نازلا من هذا المرتفع صعوبة في النزول على عكس الأهالي الذين ألفوا هذه الطرق التي غالبا ما كانت تنتهي بعنصر من الماء (Ruisseau)، وكل طرقاتها كانت ضيقة، باستثناء الطريق البحري (باب عزون- باب الواد) الذي كان طريقا متوسط الاتساع رمم و أعيد تهيئته بعد ذلك من قبل الفرنسيين<sup>(11)</sup>.

شيّدت مدينة الأهالي (القصبة) كما جاء في المصادر الفرنسية لاسيما في مؤلفات العسكريين داخل المحيط المعماري للأوروبيين، وقابلها ميناء بحري مهم (في التجارة والنقل...).

- ملامح التنظيم العمراني وطبيعة التقاليد والعادات لمجتمع مدينة الجزائر:

**1- ملامح التنظيم العمراني في مدينة الجزائر:** تقاس الدرجة الحضارية للإنسان بالمسكن الذي يأوي إليه وطبيعة النشاط الذي يمارسه وليس بحجم المجموعات التي يعيش بينها، لأنه هناك في العالم يكثر تعداد سكانها ولكن مستواهم الحضاري منخفض وبسيط كما هو الحال مثلا في بلاد الصين التي تفوق اليوم 1 مليار 600م ن، ولكن أكثرهم قرويين وهي نسبة قليلة إذا<sup>(12)</sup> ما قورنت بسكان المدن العصرية حيث يقل سكانها ويرتفع مستواهم الحضاري، هذا وقد تأثر المسكن في مدينة الجزائر بالطراز العثماني حيث أصبح شائعا بناء بيوت بها قاعة للانتظار واسعة عند المدخل، تؤدي إلى فناء مركزي مع أروقة على طول الجانبين تنتهي إلى حجرات داخلية صغيرة<sup>(13)</sup>، أما في جزائر الاحتلال نجد أن المسكن قد اتخذ عدة أشكال في المدن والأرياف، بحسب الظروف الاستعمارية السياسية والعسكرية، وكذلك الظروف الطبيعية التي كان لها تأثير مباشر على المسكن وساكنيه وتختلف المساكن في مدينة

الجزائر من حيث الموقع والانتساع والمواد التي استعملت في بنائها وتاريخ ظهورها.

| السنة | المسلمون | غير المسلمين | المجموع  | متوسط سكان المدن |
|-------|----------|--------------|----------|------------------|
| 1886  | 240.000  | 323.000      | 563.000  | 6.9 %            |
| 1906  | 342.000  | 441.000      | 783.000  | 8.5 %            |
| 1926  | 508.000  | 592.000      | 110.000  | 11.5 %           |
| 1948  | 1129.000 | 709.000      | 1838.000 | 16.4 %           |
| 1954  | 1624.000 | 792.000      | 2416.000 | 25 %             |

#### جدول تطور سكان المدن الجزائرية من 1886 إلى 1954م

تظهر المصادر الفرنسية أن سياسة التعمير في الجزائر قد ظهرت مع العنصر الأوروبي والفرنسي، لاسيما منذ مجيء الجنرال "بيجو" سنة 1841م الذي أكد أن الغزو وحده لا ينفع ما لم تعمر الجزائر *« la conquête serait stérile sans la colonisation »* مطبقا بذلك الفكر السان سيموني (الاشتراكي) مع إرجاع الأمر كله إلى الجيش الفرنسي الذي كان قراره سيّدا. وحينها ترك الأمر للجنرال بيجو ليختار أماكن إقامة المدن الكولونيالية، حيث تم الاعتماد على المحكوم عليهم بالإعدام، وكذلك على مؤسسة الجيش التي كانت تختار أماكن إقامة هذه المزارع، بينما كانت الحكومة تمدّهم بالضروريات مجانا<sup>(14)</sup>.

وترى المصادر الفرنسية أن الإدارة الاستعمارية قد حسنت ظروف إقامة الأهالي الجزائريين، كما عملت على تغيير بعض المظاهر غير اللائقة في الوسط العمراني بالجزائر والمتمثلة أساسا في ضرورة إزالة "القربي والخيم والبيوت القصديرية"<sup>(15)</sup>، وكذا بعض المنازل البسيطة في بناءاتها التي كان يقطنها مسلمون لأنها كانت لا تلبي شروط الراحة النفسية، ولا تحترم معايير النظافة والصحة.

وقد لاحظ المختصون في المجال العمراني أن أغلب منازل المسلمين الجزائريين كانت لا تتوغل إليها أشعة الشمس، رغم وجود بعض الفئات الاجتماعية الغنية من المسلمين الجزائريين التي شيدت منازلها بشكل متناسق، ومعظمها كانت تتألف من طابقين تنتهي في أعلاها بطبقة من الإسمنت وهو ما جعل الحياة بها مملة، وتضيف المصادر أن الإدارة الفرنسية قد خصصت مبالغ مالية لهذا الشأن أي لتهيئة بعض البلديات بمحيط عمرانها، وقدرت حينها بـ 9.868.300 فرنك فرنسي من المبلغ الإجمالي الذي كان يقدر بـ 13.800.000 فرنك فرنسي<sup>(16)</sup>.

وكذلك فكرت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في أن تجعل من مدينة الجزائر واجهة الحضارة الفرنسية في إفريقيا بتقنياتها وهندستها، وبما تستطيع انجازه من فنون عمرانية، بعكس السياسة التي انتهجتها في تونس، التي أنشأت قاعدتها العمرانية بوسائل خاصة وخارج المحيط العاصمي<sup>(17)</sup>، ودون أن تركز على الجانب التأصيلي للمحيط العمراني فيها، رغم المجهودات التي أظهرها بعض المهندسين الفرنسيين أمثال فالونسي (valenci) غير أنها لم تتحقق في آخر المطاف.

أما بالنسبة لمدينة الجزائر فقد عكف أشهر المهندسين الفرنسيين على تشكيل قواعدها العمرانية طوال الفترة الكولونيالية بالجزائر وحتى بعد الاستقلال، وبذلك نلاحظ أن الطراز المعماري لمدينة الجزائر يختلف اختلافا جوهريا من حيث الشكل والموضوع عن تونس، حيث شيدت بها نمطا عمرانيا مشابها لما كان معمولاً به فرنسا نفسها<sup>(18)</sup>، في حين رأى مؤرخون وباحثون آخرون أن فرنسا لم تحمل معها إلى مدينة الجزائر إلا هندسة ضعيفة تفتقر إلى الجمالية العمرانية، وخاصة ما تعلق بالأحياء العربية والشوارع الرئيسية التي لم تخصص لها دراسات متقنة ووافية، وفق ما يقتضيه العمران في العواصم العالمية<sup>(19)</sup>.

ويظهر إهمال الإدارة لأحياء مدينة الجزائر وعلى رأسها حي القصبة، الذي كان في حاجة إلى تهيئة وتنظيم، ومن أسباب ذلك أنها تركت الحرية لمهندسيها ينشئوا البنايات والطرق بالكيفية التي يرغبون في بنائها<sup>(20)</sup>، ومهما يكن من أمر فإن مدينة الجزائر قد تميزت عن مدينة تونس، لا سيما من حيث أشكال البنايات والشوارع التي أوكلت إلى مهندسين أكفاء لهم باع في مجال العمران، كما حضيت بمشاريع كثيرة خاصة خلال سنوات 1925- 1935-1948م بفضل جهود مكتب الدراسات ( Agence des plans)<sup>(21)</sup>، على العكس من مدينة تونس التي ساهم في تشيدها مهندسون غير معروفين ولم يكن لديهم خبرة كافية في مجال العمران، وكانت النتيجة أن جعلوا منها مدينة وظيفية أكثر منها نموذجية باستثناء حي بورقيبة.

لم يحظ قطاع السكن في الجزائر بأهمية لدى إدارة الاحتلال رغم توفر الإمكانيات المادية والفنية خاصة إذا تعلق الأمر بترقية فئة المسلمين، مما زاد من تعاستهم إلى درجة أصبحوا فيها بمثابة المساكين<sup>(22)</sup>، ويمكن تصنيف المسكن في الجزائر إلى أقسام منها المسكن الريفي والمسكن المدني والتي منها:

1- **القربي:** وهو أنواع كثيرة منها (الكيب- le kib) (المعمّرة- maamra) (الخبوز- kboss) (للّاحي- le lehis) و(المشتى- mehta)<sup>(23)</sup>. وقد استخدمت في تهيئة القربي عدة مواد طبيعية منها مادة (الديس- diss) وقد قدرت مساحة القربي حينها ما بين 2م إلى 10م، سكنه الجزائريون على مقربة من مدينة الجزائر وغيرها من المدن الجزائرية الأخرى<sup>(24)</sup>، وإلى جانب القربي أقام الفلاح الجزائري المسلم ما يسمى بالمرأب (Hangar)، وكان عدد قاطنيه ما يربو من 1.767.000 شخص في مساحة لا تتجاوز 55.900 كلم<sup>2</sup>.

2- **البيوت المسطحة:** وهي بيوت استخدمت فيها مادة الإسمنت وذلك بتسطيح المناطق المرتفعة من البيت في مساحتها تساوي 22.500 كلم<sup>2</sup>، وكان عدد القاطنين بها هو 493.600 ساكن.

3- **البيوت القصديرية:** استخدمت فيها مادة الزنك كمادة لإقامة مرتفعات مساحتها 9.200 كلم<sup>2</sup> وكان عدد ساكنيها هو 762.500 شخص، ويذكر السيد نوشي حول واقع التوزيع الجغرافي للعمران في مدينة الجزائر قائلاً: "إن رئة المدن الجزائرية الساحلية المغطاة بالمباني السكنية التي كان يقطنها الأوروبيون بالتوازي مع الأحياء القصديرية، فكان التناقض صارخ بين العمارة الكبيرة للحكومة العامة المؤلف من ثمانية إلى عشرة طوابق وبين البيوت القصديرية التي تمتد على طول شارع فاردان إلى غاية تاغار"<sup>(25)</sup>.

«عرفت مدينة الجزائر انطلاقة هامة في ميدان التعمير بفضل منتجات الأراضي المحتلة ومن عائدات الكروم، وقد لبّت هذه المراحل العمرانية منذ بداية القرن 20م لمتطلبات المجتمع الحضري الأوروبي، أما المجتمع الإسلامي فقد بقي على الهامش طيلة هذه الفترة، وخلال الأربعينيات والخمسينيات حاولت السلطة الاستعمارية اعتماد سياسة إسلامية للسكن في ظل بؤس اقتصادي دائم»<sup>(26)</sup>.

وتذكر المصادر الفرنسية أنه لم يكن هناك تناغم عمراني بين مسلمي مدينة الجزائر والعناصر الأوروبية الوافدة، لأن هؤلاء قد نظروا للمسلم الجزائري بنظرة استعلائية عنصرية حاقة، ويظهر ذلك من خلال مقارنة في طبيعة المنازل التي كان يأوي إليها العرب بتلك التي كان يسكنها الفرنسيون والأوروبيون.

فحي القصبة مثلاً حيث الأغلبية المسلمة نجد بعض المنازل ذات الغرفة الواحدة في مساحة تتراوح ما بين 05 إلى 10م<sup>2</sup> مع انعدام التهوية كانت تأوي ستة (06) أشخاص بالإضافة إلى ذلك نلاحظ تراجع في مستلزمات الحياة

كالماء الذي هو أساس الحياة، مع وجود بيت خلاء مشترك، ومثل هذه المنازل كانت تستأجر ب 10 دورو، وكذلك اتخذت بعض العائلات المسلمة من القبو (La CAVE) مساكن تأويها وجعلت من أغطية صرف المياه القدرة نوافذ يعبر الهواء والضوء من خلالها.

والغريب في الأمر أن أرباب هذه العائلات الجزائرية المسلمة، كانوا عمالا مؤقتون في المدينة، لا يزيد دخلهم عن 500 إلى 600 فرنك يومياً<sup>(27)</sup>، وقابل هذا التدني والتراجع المعيشي الغلاء الفاحش في النقل، حيث أن تذكرة عادية في قطار المدينة كانت تفوق 30 فرنك ناهيك عن ضريبة إيجار السكن التي كانت تكلف حوالي نصف الأجر أي ما بين 4000 إلى 5000 فرنك<sup>(28)</sup>.

| تعداد الأشخاص في كل غرفة | مساحة الغرفة      | الدخل اليومي    | الكراء السنوي |
|--------------------------|-------------------|-----------------|---------------|
| 06 أشخاص (04 أطفال)      | 08 م <sup>2</sup> | 500 فرنك يومياً | 5000 فرنك     |
| 02 أشخاص مرضى            | 08 م <sup>2</sup> | 500 فرنك يومياً | 5000 فرنك     |
| 03 أشخاص (01 طفل)        | 10 م <sup>2</sup> | 600 فرنك يومياً | 5000 فرنك     |
| 04 أشخاص (02 أطفال)      | 07 م <sup>2</sup> | 700 فرنك يومياً | 5500 فرنك     |

- **ملاحظة:** هذه المنازل المستأجرة وغيرها كانت تنعدم فيها قنوات صرف المياه ونوافذ، وهناك التي كانت بها شبه نوافذ لا يتعدى قطرها 25 سم إلى 40 سم.

وهناك حالات كارثية أخرى نبرزها في الجدول التالي:

| عدد الأشخاص في كل غرفة                                           | مساحة الغرفة      | الدخل اليومي             | الكراء    |
|------------------------------------------------------------------|-------------------|--------------------------|-----------|
| 05 أشخاص                                                         | 07 م <sup>2</sup> | يومي من العمل - 600 فرنك | 4000 فرنك |
| 06 أشخاص                                                         | 08 م <sup>2</sup> | 700 فرنك (عمل مؤقت)      | 5000 فرنك |
| 12 شخص مؤلف من (عجوز، امرأة، 08 أطفال أقل من 16 سنة ورجل)... إلخ | 14 م <sup>2</sup> | متسول                    | 5000 فرنك |

(29)

أما أثاث بيوت المسلمين فكان يتألف أساساً من بقايا السيارات والزنك وبعض الأسرّة الحديدية وحطام بعض الأخشاب، ويمكن أن نسمي هذه البيوت بـ إسطبلات عائلية (Les Hangar familiaux)، مع وجود بيوت

جماعية للشباب العزاب يزيد بعضها عن 10 أشخاص في مساحة لا تتعدى 10 م<sup>2</sup> في محيط تتعدم به نوافذ<sup>(30)</sup>.

وعموما نلاحظ بأن هذه الظروف التي كان يعيش فيها المسلمون الجزائريون، ظلت بعيدة عن الشروط الحياة العادية مع انعدام النظافة والأمن، الأمر الذي ساعد على تفشي وانتشار الأوبئة القاتلة، كمرض السل الذي يجد بينته لَمّا تتعدم التهوية والإنارة، وكانت النتيجة في آخر المطاف ارتفاع رهيب في وفيات الأطفال.

وفي منتصف القرن 19م أكد نابليون الثالث<sup>(31)</sup> على أهمية إعادة تهيئة المدينة مع القضاء تدريجيا على المظاهر التركية والعربية واستحداث جدار منيع بين البحر والمدينة يحميها من التهديد الخارجي، وبعد ذلك جاءت فكرة إنشاء حي باب الواد على ضفاف البحر على امتداد عرضي قدره 200 م واتساع طولي ب 800 م مع إقامة حي تجاري بضاحية الأغا، وفي سنة 1904م شيد حي مصطفى الذي ألحق آنذاك ببلدية الجزائر ( commune d'Alger)<sup>(32)</sup>.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن الفرنسيين أقدموا على هدم جزء كبير وهام من مدينة الجزائر<sup>(33)</sup>، وشيدوا مكانها عمارات عكست ثقافتهم الأوروبية، ظهرت فيها المدينة بهندسة معمارية جديدة وفريدة بدى فيها تنوعا وتباينا بالغين في تبني نظريات هندسية حديثة، وقد مثل هذا الدور المهندس الفرنسي "كوربوزي" الذي أعد مشاريع معمارية هامة للجزائر لم ينجز أغلبها نظرا لتعقيداتها وضخامتها.

ويرى السيد كوربوزي (Corbusier) أن مدينة الجزائر تبدو مهيئة أكثر من غيرها من المدن الجزائرية الأخرى، لتطبيق سياسة عمرانية فريدة قائمة على مبادئ ثلاث ( شكل المنزل، طبيعة العمل وظروفه، الثقافة والفن)، وهي مبادئ أراد تطبيقها على نمط العمارة أو العمران بمدينة الجزائر (شكل البيوت المراد إنشاؤها ثم كيفية العمل على بناء هذه المنازل ثم وجوب ترك ثقافة أو بصمات السيد الأوروبي على هذا الإنجاز)، والهدف في آخر المطاف هو النهوض بالتنمية الكولونيالية في الجزائر، لأن ذلك من شأنه أن يخلق لفرنسا عاصمة ثانية في إفريقيا.

لتمكين المستوطنين في هذه القارة، لأن مفهوم التنمية لدى المحتل كان يعني عدم بعث النشاط التنموي لخدمة المسلمين الجزائريين وجعلهم أسيادا في بلدهم.

وقد بدا حينئذ بداية ارتسام ملامح المدينة الكولونيالية<sup>(34)</sup>، ذات التقنيات الجمالية الأوروبية ومنه يمكن القول بأنه خلال الفترة الممتدة من 1930م إلى 1954م تعتبر فترة ازدهار المجتمع الحضري الاستعماري، وقد جاء في عدة رسائل تبادلها الولاية العامون فيما بينهم أنه «يجب توسيع التعمير مع المحافظة على مصالح السكان الأهالي حسب المعقول»<sup>(35)</sup>.

وفي ذلك يرى العلامة "مالك بن نبي" أن التوسع الأوروبي في سياسته وحركية عمرانها، إنما تجديد لصلة الأوروبي مع ذاته بوصفه مستعمرا، فالمدينة الحديثة قد أخذت من الحضارة الأوروبية روحها الاستعمارية<sup>(36)</sup>.

### خاتمة:

- أرد الاستعمار الفرنسي أن يجعل من المجتمع الجزائري مجتمعا عليلا في تراثه وحضارته ودينه ولغته وسلوكيات أفرادها ومنهج مفكره وممثليه من الأحزاب الذين يدفعون عنه الظلم ويأخذون بيده إلى الخلاص والاستقلال.

- قد اختلف مع السيد مالك بن نبي في دراسته للظاهرة الاستعمارية، حيث قال إنه حينما ينزل جيش أجنبي على أرض شعب ما، فإن هذا الشعب يكون معرضا إما إلى احتلال مؤقت أو إلى عملية ضم نهائية تحت سلطة شعب آخر، فأما الاحتلال المؤقت فإن تأثيراته في الحياة تكتسي صفة عابرة في حدود ما يستلزمه هذا الإنزال، وينتهي نفوذه مع تصفية الوضع الحربي، أما عملية الضم فإن الأمور تتخذ مسلكا آخر يؤثر في حياة الشعب الذي جرت عليه هذه العملية مما يقود في النهاية إلى ميلاد مجتمع جديد...تندمج فيه خصائص الشعبين (الغالب والمغلوب)، لأن الاستعمار الفرنسي وإن غير حقيقة في شكل العمران وحاول أن يصبغ المدينة بطابع أوروبي غير أنه لم يؤثر في العقول والنفوس ولم يتمكن من إدماج الشعب الجزائري في حضارة غير حضارته أو في أمة غير أمته، وطوال فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر لم يكثرث المسلمون الجزائريون بتقاليد ولا بعادات هؤلاء الغرباء المغتصبين الكولون، فظلت الصلاة قائمة والمساجد عامرة.



صورة تمثل طريق باب الواد



صورة تمثل شارع الأغا



صورة تمثل الميناء



صورة تمثل وسط المدينة (الجامعة المركزية)

## الهوامش:

1- CAOM, ARCHIVES D'OUTRE MER, AIX EN PROVENCE, DESCRIPTION GEOGRAPHIQUE D'ALGER, CARTON / 9H/42, p 01.

2- ومرجع ذلك إلى أهمية ميناء مدينة الجزائر، الذي اكتسب أهمية بالغة حسب دراسات فرنسية كثيرة، لأنها رأت أن الوجود الفرنسي بالجزائر لم يهتم بالإنسان الجزائري فحسب، ولكن كذلك أولى رعاية وأهمية باقتصاده الذي ازدهر وتوسع بفضل عملية التوسعة التي شملت معظم أجزاء الميناء منذ سنة 1840م، من جهة أخرى يعتبر ميناء مدينة الجزائر من أهم الموانئ في حوض البحر الأبيض المتوسط، لأنه شكل ملتقى بحري طبيعي بين أوروبا وإفريقيا وأقصى بلاد الشرق، كما ساهم من جهة أخرى في تنشيط حركة المبادلات التجارية من صادرات وواردات ولم يكن يتربع الميناء إلى سنة 1830م إلا على 03 هكتارات وعلى ممر طوله 130 متر إلى ناحية الجنوب، وفي سنة 1848 م أوكل مشروع التوسعة إلى المهندس ليسو (Lieussou)، ليجعل منه ملتقى اقتصاد البحر الأبيض المتوسط، وقد اعتمدت عملية التوسعة هذه على معطيات جديدة، بحيث جعلت مساحة الميناء تتربع على 50 هكتار وعلى ممر طوله 4600 متر، وأصبح ميناء المدينة سنة 1897م منطقة حرة لعملية المبادلات التجارية في منطقة البحر الأبيض (من شحن وتفريغ وبيع وشراء).  
أنظر:

- Caom, Baeza. H, Le Rôle économique du port D'Alger, ancienne maison, Bastide- Jourdan, imp. libraire éditeur, Alger, 1924, pp 12, 14, 24/Caom, Journal officiel, Annexe N° 2.700, p 1882.

3- عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر (نشأتها وتطورها قبل 1830)، ط01، المطبعة العربية، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 03.

4 - Maurice Wall, les villes de l'Algérie, Alger imprimerie, Alger 1887, p12.

5- نفسه، ص 55. --- 6 - إكزيوم أو إكوسيوم الاسم المحرف لأكسيم الفينيقيّة الذي سمو به مدينة الجزائر، وأكسيم يعني الشوك النابت على الصخور المقابلة لهذه المدينة، أنظر: نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر (من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي)، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 35، 36.

7-CAOM. AIX EN PROVENCE, CARTON / U : 63168, E : 70577, I : 03- 0587, C : DZA -90 FRANÇOISE DURAND -EVRARD, LUCIENNE MARTINI, ARCHIVES D'ALGERIE (1830- 1960), p 28.

8- أبو القاسم سعد الله، مدينة الجزائر في كتاب إنجليزي قديم، مجلة الأصالة، العدد: 08، مجلة تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ماي - جوان 1972، الجزائر، ص34.

9- Pietra Santa, Du climat d'Alger dans les affections chroniques de la poitrine, (rapport fait a la suite d'une mission médicale en Algérie - et présenter pour le ministre de l'Algérie et des colonies), éditions librairie de l'académie impériale de médecine, paris, 1860, p 07.

- وللإشارة فإن التقرير كان موجه من قبل الطبيب إلى وزير المستعمرات الفرنسي السيد: (PROSPER DE CHASSELOUP LAUBAT)، وهدف هذه البعثة الطبية هو معرفة مدى تأثير المناخ بمدينة الجزائر على صحة المواطن (الأوروبي) طبعا خاصة الأمراض الصدرية المزمنة، وكان هذا الطبيب قد أعد سابقا تقارير مماثلة حول تأثير المناخ في المناطق المجاورة لفرنسا (إيطاليا) وقد اعتمد هذا التقرير من قبل لجنة النظافة العمومية في دورتها 31 أكتوبر 1959 وإمضاء رئيسها السيد: "راير" (RAYER).

10-Renaudot. M, Alger, tableau du royaume de la ville d'Alger et de ces environs, librairie universelle, Paris, 1830, p11.

11- D.J- Montagne, physiologie morale et physique d'Alger, Alger, 1833, pp 05,06.

12- حليمي.ع، مرجع سابق، ص201.---- 13 - وليام سينسر، المرجع السابق، ص 110.

14- Moncer Rouissi, op cit, p65.---- 15- Renaudot .M, Alger, op cit , pp 16,17

16- Exposé Lemoine, carton/10H-61, p 22.

17-Giudice, Christophe, Alger, Tunis, l'urbanisme européen sur les rives sud de la méditerranée, Paris 1988, p83.---- 18-Henriette Cèlairière, Un Mois en Algérie et Tunisie, Paris, Librairie Hachette, 1924, p85.

19- يسهل ارتباط مدينة الجزائر بالمتيجة اتصالها بالغرب عبر واد الشلف، أنظر: نفسه، ص 85.  
- أرادت فرنسا أن تجعل من الجزائر وعاصمتها مخابرًا متخصصًا حتى تجعلها فرنسية وتمهد بذلك للسيطرة على كامل إفريقيا.

- وقد تم اختيار خليج مدينة الجزائر حسب المهندس مورتي، ضمن ثلاث عواصم عالمية هامة من حيث موقعه وجماليته بعد كل من مدينتي ريو دو جانيرو واسطنبول. راجع:

- Henriette Cèlairière, Op cit, pp10,85/Deluz .j.j, Alger chronique urbain, Paris, éditions bouchène, 2002, p 12,13.---- 20-Giudice, Christophe, op cit , p90.---- 21-Deluz .j.j, op cit , pp 169.

يمكن إحصاء عدة مهندسين أسهموا بخبراتهم في بناء مدينتي الجزائر وتونس هم على النحو التالي:

**مهندسو مدينة الجزائر:** Marie, Pouillon, Corbusier:

**مهندسو مدينة تونس:** j. Valesi, M. Chevaux, Deloge. M, Kosmin.:

2-Caom, Paul Debauffre, Ingénieur civil, président du groupe d'Alger de L'UNITEC.

DOC. NA. N° 42 – 14 Février – 1952 – Documents Nord-africains, habitent en Algérie, du février 1952 .3em année. Carton S3/13-20, p01.

22- وما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه البيوت قد أنشأت حول حواف مدينة الجزائر.

23 – أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص111.---- 24- العربي ايشبودان، مدينة الجزائر، تاريخ عاصمة، ترجمة: جناح مسعود، مراجعة: حاج مسعود مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، سنة 2006، ص 190.

25- Noushi(A), Le sens de certains Chiffres, Croissance Urbaine et Vie Politique en Algérie (1926-1936), In mélanges à Charles André Julien, Paris, Puf, 1964, p 209.

26- مع العلم أن هذه الأعمال وغيرها كانت مؤقتة وغير دائمة، لأن الجزائري المسلم كان يجد مشاكل كثيرة في الإنفاق على عائلته خلال الأيام المتبقية من كل شهر.---- 27- يشبه صاحب المقال هذه المنازل بأنها محاشر جماعية، أنظر:

28- Paul Debauffre, op cit, p03.---- 29- Paul Debauffre, op cit, p 03,04.--- 30- Ibid, p 04.

31- نابليون الثالث [Napoléon III] (1808-1873): رئيس الجمهورية الفرنسية الثانية ما بين (1848-1852) ثم إمبراطورًا ما بين 1852-1870، ثالث أبناء دورتونس بوهارني ولويس بونبارت ملك هولندا، تلقى تكوينًا عسكريًا في مدرسة "تون" بعد وفاة الدوق رشتاد سنة 1832، نفي إلى أمريكا ثم إلى سويسرا، وبعد ثورة 1848 عاد إلى فرنسا وعين رئيسًا في 10 ديسمبر 1848، عين إمبراطورًا لفرنسا في أكتوبر 1852 تحت اسم نابليون الثالث، ثم تزوج سنة 1853 من السيدة أوجيني دو منتيوخو وله طفل واحد يدعى "أوجيني لويس نابليون"، استدعي سنة 1853 من بريطانيا إلى مؤازرة الدولة العثمانية ضد روسيا، خاض عالم الشغل واعترف بحق الإضراب سنة 1864، عجلت حرب 1870 بسقوط إمبراطوريته توفي في بريطانيا سنة 1873. أنظر:

- Grand Dictionnaire -Encyclopédie Larousse, Paris, tome: 07, 1983, p 7275.

32- Rapport Xavier Malverti, op cit , p 32 .

33- وهكذا فإن دراسة تاريخ مدينة الجزائر أو بالأحرى خطط مدينة الجزائر لا يعدو أن يكون نموذجًا آخر من الدراسات المدنية ذات الطابع العمراني؛ كما يعد استمرارًا للتقليد العلمي الذي أسسه المسلمون الأوائل حيث انفرد الخطيب البغدادي بوصف بغداد في كتابه "تاريخ بغداد"، ووصف المقرئزي خطط مصر والقاهرة، وتبعه في ذلك علي باشا مبارك في وصف "خطط القاهرة الحديثة"، وكذلك وصف السموهدي المدينة المنورة منذ نشأتها، وجاء كتاب آخر في وصف "خطط دمشق والشام". أنظر: - ألبير ديفولكس (ت 1876) خطط مدينة الجزائر، المترجمان: مصطفى بن حموش ويدر الدين بلقاضي، المجمع الثقافي، أبوظبي (الإمارات العربية المتحدة)، 2004م.

34- يقول السيد جاك غانديني أنه بفضل سواعد المعمرين شيدت مدينة الجزائر، أي وفق التصور الأوروبي الفريد، حتى يمكننا أن نشبه ذلك بالجوهر الهندسية الكولونيالية حيث أن المهندسين المعمرين لم يفرقوا حينما كانوا يهيئون المدينة بين الجزائر وفرنسا مراعين في ذلك شروط الطبيعة التي يميزها (الضوء والشمس) أنظر: Jacques 07 - Gandini, op cit, p

35-Noushi (A), L'Algérie passé et présent, Editions Sociales, paris, 1960, p 362.

36- مالك بن نبي، في مهب المعركة (إرهاصات الثورة)، دمشق، دار الفكر، 2000، ص 24، 25.

Abstract: City of Algeria her statuses the geography and developmental The social studies formed two prominent places between the sciences which intensifies to her need of the nations, with incrementation degree her of consciousness and exposure what befalls her mental and cultural phenomena, on the other side for her her importance in analysis the events pertinent in the human development in the past, and attempt of the benefit her results on our reality and lectured, with status of visualizations around her whether positive passivity of mother taking into account her circumstances political was and her sequence, and as in the political and economic and statistical studies the researcher employs wealthy his political and economic abilities to becomes easy for him the arrival to the truths which matter of occurring made from the historic event this political stamp and from language of the numbers and the transactions schedules categorizes then disengagement, so as your lowness the social incident in helped her far and close matter necessitates not only on studier of the meeting Her knowledge of reasons, but likewise the research historian be obligatory on that helped her and her truths inquire, and defined after the care in problems individual during designating period from his history and for what the historic event was in coordinates her social matter very important and the accuracy, on us as research being cautious and the serious work, especially if was for her relationship in our constants and our personality, as on us likewise the sweetening in objective and the impartiality from the personality which the academic purpose for the events in her two historic and social distances does not serve, as timed observance of sequence be necessary her even the meaning reports and the frames do not come out about the common people for the subject.